الفصل الخامس
الإتجاهات الحديثة في الدراسات الخاصة بالإرهاب الدولي

الفصل الخامس
الإتجاهات الحديثة في الدراسات الخاصة بالإرهاب الدولي

أصبَحَ الإرهاب شبحاً يطارد الدُّول والمجتمعات والأفراد(١). ولكن هَذه النتيجة قَد ساهمت فِيهَا الولايات المُتَّحِدَة بالنصيب الأوفى(٢). فالثَّابت تاريخياً أن الإرهاب جزء مِن العنف الَّذي ظَلَّ يمارس داخل المجتمعات وبين المجتمعات مُنْذُ ظهرت المجتمعات البشرية علَى ظهر الأرض. وليس معزوفاً تاريخياً مَتَى ظهر مصطلح الإرهاب، ولكن الثَّابت أن الإرهاب حالة نفسية أو ردَّ نفسي علَى عمل قَد لا يَكُون مادياً بَلْ إن كلمة يرهب فِي اللغة العربية الَّتي إنتقلت إلينا مِن القرآن الكريم تطابق هَذَا المعنى مطابقة تَامَّة وتنشئ حول المصطلح نظاماً للردع لَيْسَ فِيهِ أي أثر للإعتداء المادي وإنما تركز الأثر كله فِي الأثر النفسي وهذا الأثر النفسي ينتهي ويرتد فِي نهاية المطاف إلَى الحالة الإدراكية للمتلقي(٣).

أما صور الإرهاب عبر التاريخ فلا يُمكِن حصرها، ولكن الصورة الوحيدة الَّتي ظهرت لتدل علَى الإرهاب طوال أكثر مِن ألفي عام علَى الأقل مُنْذُ ورد النص علَى حظرها دُونَ تسميتها فِي أول إتفاقية عرفها التاريخ، وهى إتفاقية قادش(٤)، هِيَ جريمة الإغتيال السياسي وخاصة الإعتداء علَى حياة الملوك فِي صورته الأولى الَّتي ظهر بِهَا. فَقَد شددت إتفاقية قادش المبرمة بَيْنَ رمسيس الثالث وحاتوسيل ملك الحيثيين فِي آسيا الصغرى علَى ضرورة تسليم مرتكبي جرائم الإعتداء علَى الملوك وأسرهم فِي البلدين، رُبَّمَا لأن الملوك فِي مصر فِي تِلْكَ الفترة كَانُوا آلهة، ولأن للمعابد حرمة مِن يلجأون إليهَا، حَيْثُ كَانَت أولى صور الملاجئ السياسية فِي التاريخ(٥). وقَد

ظلّت جريمة الإعتداء على حياة الملوك والمسئولين هي الهاجس الأول والصورة المُثلى للإرهاب على الأقل حتّى سبعينات القرن العشرين، رغم أن بعض الأدبيات تشير بشكل خاص إلى الأعمال الإرهابية في التاريخ اليهودي ثُمَّ في التاريخ الصهيوني(٦) أو إرهاب اليعاقبة في خِضمّ أحداث الثورة الفرنسية.

وقد تنوعت صور الإرهاب وتعددت أدواته وإتسعت ساحاته وإنتقل من مفهومه الوطني والإقليمي إلى المفهوم الدُولي، وقد مَرّت مسيرة الإرهاب الدَّولي من الستينات حتّى اليوم أي خلال الأربعين عاماً الماضية بمراحل ثلاثة أساسية:

المرحلة الأولى، هيَ الّتي إختلط فيها مفهوم الإرهاب بالحركة الدُوَليَّة لتصفية الإستعمار الّتي قادتها حركات التحرر الوطني، وكان الزخم الظاهر في ذلك الوقت هُوَ شرعية هذه الحركات، والتي كانت توجه عادة نحو أهداف غربية، لقيت تشجيعاً من الولايات المُتّحدة والإتحاد السوفيتي، خاصّة عندما شعرالعملاقان خلال مرحلة الحرب الباردة أن هُناكَ فاصلاً كبيراً بَيْنَ مصالحهما ومصالح حلفائهما، وخاصة في علاقة الغرب بصفة عامّة بقائده العملاق: الولايات المُتّحدة، أما المرحلة الثانية فتبدأ بالتقريب من منتصف الثمانينات حيثُ تصاعد الإهتمام بالإرهاب عندَمَا أصبَحَ ظاهرة تصيب كُلّ المجتمعات، فكانت ظاهرة عالمية من الناحية الجغرافية بشكل اساسي، ولكنها في ذاتَ الوقت كانت ظاهرة محلية localized إلى حَدّ كبير، رغم خطوط الإتصال بَيْنَ السياسة الوطنية فأصبح الإرهاب الّذي يصيب العالم الثالث يفيد الغرب، وليس متحمساً أو متفهما لوجهة نظر العالم الثالث(٧)

أما المرحلة الثالثة، فهى الّتي أعقبت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، في

الولايات المُتَّحدة حَيْثُ إتخذ مفهوم الإرهاب منحى يصل إلَى حَدّ الحمى والمرض إنطلقت بِها الولايات المتحدة، عملاقاً محموماً لا يصبر علَى مناقشة ولا يحتمل رأياً آخر.

ومن الواضح أن تطور الظاهرة الإرهابية قَد واكبه إهتمام بحثي مماثل إختلف التركيز فيهِ وِفْق التوجيه السياسي أو خطر بعض جوانب الظاهرة.

وتهدف هَذِهِ الدراسة إلَى بحث تطور ظاهرة الإرهاب، ولكن بشكل أخص محاولة رصد الإتجاهات المختلفة التي سادت الدراسات والبحوث الحديثة. وقد يحتمل مَعْنَى<الحديثة> السنوات العشر الأخيرة، ولكننا نعتقد أن مَا نشر مِن دراسات بَعْد أحداث ١١ سبتمبر حول الإرهاب يفوق بكثير مَا كتب عَن الإرهاب خلال قرون. بَلْ إنَّهُ يستحيل رصد الدراسات والإجراءات والإتفاقات والتشريعات الَّتي واكبت حمى الإرهاب الدُّوَلي، والحشد النفسي الهائل الَّذي إرتبط بِهَذِهِ الدراسات حتَّى لا نكاد نَرَى دراسة أو كتاباً أو دورية في أي فرع مِن فروع العلوم الإجتماعية تخلو مِن معالجة لإحدى زوايا الظاهرة الإرهابية. ولهذا السبب ولإعتبارات عملية فَإِنَّنَا نكتفي بتسجيل أهم الإتجاهات الَّتي سادت البحوث والدراسات العلمية حول الإرهاب الدُّوَلي، خَاصَّة بَعْد أحداث ١١ سبتمبر.